

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ هُوَ
 الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾

يُسَبِّحُ لِلَّهِ: ينزهه ويمجده ويدل عليه.

الْمَلِكِ: مالك الأشياء كلها.

الْقُدُّوسِ: البليغ في النزاهة عن النقائص.

الْعَزِيزِ: القادر الغالب القاهر.

الْأُمِّيِّينَ: العرب المعاصرين له ﷺ.

وَيُزَكِّيهِمْ: يطهرهم من أدناس الجاهلية.

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ: من العرب.

لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ: لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون.

إن بعث الله - سبحانه وتعالى - بالرسول هداية بني الإنسان، يتمثل، على المستوى
 البشري، ظهور نفس تلك الصفات الإلهية التي تجلت في هذا الكون على المستوى
 المادي . ولقد بعث رسول الإسلام ﷺ شأنه شأن من سبقه من الأنبياء والمرسلين،

للقيام بوظيفة ذات جانبين: أحدهما: تلقى الوحي عن الله وإبلاغه إلى الناس كافة،
 وثانيهما: العمل على إيقاظ وعي الناس وتنبيه شعورهم لكي يفهموا كلام الله،
 ويتمكنوا من الربط بينه وبين حياتهم الواقعية برباط عملي وثيق، وسيبقى هذان
 العاملان - تعليم القرآن والتربية العقلية - هما المحور الرئيسي الذي يدور عليه جهد
 الدعوة والإصلاح فيما بعد عصر النبوة كذلك .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ
 مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢٤) قُلْ يَتَائِبُهَا
 الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا أَلَمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٦﴾ قُلْ
 إِنَّ أَلَمُوتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٧)

حُمِلُوا التَّوْرَةَ: كلفوا العمل بها فيها (اليهود).

يَحْمِلُ أَسْفَارًا: كتبها عظاما ولا ينتفع بها.

هَادُوا: تدينوا باليهودية.

إن شعباً ما حين يُؤتمن على كتاب الله، فإنما يؤتمن عليه لكي يُقرّه في صميم كيانه،
 ويسير في حياته العملية على هداه، ولكن الشعب الذي لا ينهض بحمل أمانة الكتاب
 السماوي بهذا المعنى، فإن مثله كمثل حمار ينوء بالكتب العلمية الضخمة وهو لا يدري
 ماذا يحمل على ظهره؟! وإن اليهود، وإن كانوا قد نبذوا دين الله عملياً وراء ظهورهم،
 إلا أنهم كانوا قد اتخذوا منه موضع الفخر والاعتزاز القومي، غير أن فخراً مجرداً كهذا
 لن يغني عن أحد فتيلاً، ومثل هذا الفخر يقوم دوماً على الزيف والخداع، وحسبك

دليلاً على ذلك أنك تراه يحاول التنصل، إذ جدّ الجد، من تقديم أية توضيحات لهذا الدين الذي يكون قد جعل منه أداة فخره واعتزازه، على أن أمثال هذا سيدركون، إذا حضرهم الموت، أن الفخر الذي كانوا يعيشون عليه في الدنيا لم يكن ليعود عليهم في الآخرة بشيء سوى الذل والهوان!!

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَواً آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٩٢﴾﴾

وَذَرُوا الْبَيْعَ: اتركوه وتفرغوا للذكر الله.

فَانْتَشِرُوا: تفرقوا للتصرف في حوائجكم.

انْفَضُّوا إِلَيْهَا: تفرقوا عنك قاصدين إليها.

الإنسان في هذه الحياة مطالب بمقتضيين اثنين في آن واحد، أحدهما: مقتضى المعاش، والآخر مقتضى الدين، وكلاهما ضروري لأبد من العناية بتحقيقه على السواء، إلا أنه ينبغي أن يتم تقسيم الوقت والجهد والطاقة بينهما بحيث تبقى الأنشطة المتصلة بكسب المعاش تابعة دائماً للمقتضيات الدينية. فلا بأس في أن يكدرح المؤمن سعياً وراء ابتغاء المعاش في إطار الحدود المشروعة، ولكن يجب عليه أن يعدّ نحاح مسعاه ذاك منةً خالصةً من الله وفضله، وأن يظل موصول القلب بالله، دائم الذكر له تعالى في أثناء اشتغاله بالكسب والارتزاق، كما ينبغي له - إلى جانب ذلك - أن يكون دوماً على أهبة الاستعداد للاستجابة وتلبية النداء إذا ما دُعي إلى

القيام ببعض مقتضيات الدين، نافضاً يده في ذلك الوقت من كل المشاغل الأخرى
سواه .

ولقد حدث ذات مرة أن نهض بعض الصحابة، والرسول قائم في المسجد يخطبهم
للجمعة، وانصرفوا مسرعين إلى سوق المدينة لشراء ما جاء به أحد التجار من الطعام ،
خشية أن يفقدوا لو انتظروا تمام الصلاة ، وفي تلك المناسبة نزلت هذه الآيات الكريمة بما
فيها من تعقيب على الحادث وتوجيه وتأديب لمن تركوا الرسول في أثناء الخطبة خاصة،
وللمسلمين عامة . وهذا الحكم ، وإن كان يتعلق أساساً بصلاة الجمعة، إلا إنه
ينسحب، بصورة غير مباشرة، على كل الأعمال الدينية ، فكلما جُمع المسلمون على صعيد
واحد لأي مهمة خاصة من مهام الدين، فإن مغادرة المجلس عندئذ، بدون إذن الأمير
أو القائد، حرمان عظيم لا يعدله حرمان !!